﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [المؤمنون: 95]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الوعيدُ بالعذاب الدّنيويّ من أمارات القُدْرةِ المُطْلَقَةِ

كان هؤلاء المعاندون يُنْكِرونَ الوَعيدَ بالعَذابِ ويَضْحَكونَ مِنهُ، فبيّنت هذه الآيةُ أنَّ اللّه قادِرٌ عَلى إنْجازِ ما وعَدَهم منَ العذاب الأليم في حياة النّبيّ ﷺ، بحيثُ يرى العذابَ وقد حَلّ بصناديدهم؛ فالآيةُ تتمّةٌ لما جاء في الآيتيْن السّابقتيْن من الوعيد والتّهديد؛ فهو سبحانه صاحبُ القُدرة المُطلَقَة؛ فلا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: (قدر) أَصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على مَبْلَغِ الشَّيْءِ وكُنْهِهِ ونِهايَتِهِ، فالقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ، يُقالُ: قَدْرُهُ كَذا؛ أَيْ: مَبْلَغُهُ، وكَذَلِكَ القَدَرُ، وقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وأَقْدُرُهُ، مِنَ التَّقْديرِ، وقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ، والقَدَرُ: قَضاءُ اللّه تَعالَى الأَشْياءَ على مَبالِغِها ونِهاياتِها الَّتي أَرادَها لَها، والقُدْرَةُ إذا وُصِفَ بها الإنسانُ فاسمٌ لهيئةٍ له بها يتمكّن من فعل شيءٍ ما، والمعنى المحوريُّ للقُدْرَة: ضَبْطُ الشّيء القابلِ للتّسيُّبِ أو الانبساط، وحَكْمُه وامتساكُه على وضعٍ أو كَمٍّ أو مسافةٍ مُعيَّنةٍ، فلا يتسيّبُ ولا يَسْتَرسِل[2]، والمعنى المُراد هاهنا: أنّ اللّه الذي بيده القدرة المُطلقة، قادرٌ على أن يوقع بهمُ العذابَ وقتما شاء، وكيفما شاء.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تلقينُ اللهِ لنبيِّه ﷺ أفضلُ سُبُلِ النّجاة في غمرة الوعيدِ بالهلاكِ

يؤكّد اللّه تعالى لنبيّه أنّه قادر على أن يُريَه ما وعد به الكفّارَ من عذابٍ في الدّنيا بالغَلَب والانتصار، في حياته قبل أن يمضيَ لربّه، ولَكِنَّهُ سبحانه يُؤَخِّرُهُ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ بَعْضَهم سَيُؤْمِنُ، أَوْ لِكَوْنِ اللّه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 291، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 119.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المُفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قدر).

سُبْحانَهُ لا يُعَذِّبُهم والرَّسولُ فيهِم، وقيلَ: قَدْ أراهُ اللهُ سُبْحانَهُ ذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، ويَوْمَ فتْحِ مَكَّةَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَإِنَّا﴾:

تـقـريـر طـلاقـةِ الـقـدرة الإلـهـيّة عـلـى إنـجـاز الوعيد

الواو هاهنا ﴿وَإِنَّا﴾ للاستئناف؛ فهي استئنافٌ لما سبق بيانُه في الآيات السّابقة، وهي تُفيد تقريرَ طلاقةِ القُدرة الإلَهيّة على إنجاز الوعيد[2].

غرضُ التَّوكيد بثلاثة مُؤكِّداتٍ:

شِـدّةُ الإنـكـار والاسـتـهـزاء تـقـتـضي شـدَّةَ التّوكيدِ

لمّا كان هؤلاء المُكذِّبون المُعاندون من قريش ومَن حذا حذوَهم قد بالغوا في شَكّهم واستهزائِهم وعنادِهم بوعيد الله؛ ناسبَ عند ذلك غايةَ المناسبةِ أن يأتيَ نظمُ الآية الكريمة بثلاثةِ مؤكّدات؛ وهي: (إنّ)، و(اللّام)، و(اسميّة الجملة)؛ لتأكيد طلاقةِ القُدْرة الإلَهيّة أمامَ هذا العناد المُستحكِم؛ فالغرضُ من هذه المُؤكّدات الثّلاثة إيجادُ الرَّجاءِ بِحُصولِ وعيدِ المُكَذِّبينَ في حَياةِ الرَّسولِ ﷺ، وإلّا فلا حاجَةَ إلى إعْلامِ الرَّسولِ بِقُدْرَةِ الله على ذَلِكَ[3]؛ فالخطابُ التّوكيديُّ في هذه المُؤكِّدات مقصودٌ به أصلًا أن يقرّ في نفوس هؤلاء المُكذّبين طلاقة القُدرة الإلَهيّة؛ فجاءت هذه المُؤكّداتُ الثّلاثة متواليةً لتَقرعَ أسماعَهم؛ وذلك دفعًا لإنكارهم، وتحريكًا لعقولهم التي تعامت عن رؤية الحقّ الواضح، وأبت إلّا العناد والمكابرة.

غرض تقديم شبه الجملة على خبر (إنّ):

طـلاقـةُ الـقـدرة الإلهيّة بيانٌ على صـدق رسـالـتـه ﷺ

جاء النّظمُ الحكيم بتقديم قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾ على خبر (إنّ)، وعِلّةُ هذا التّقديم تخصيصُ القُدرة الإلهيّة على

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 675، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5115.
(2) الخطيب، التّفصيل: 18/ 120.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 119.

إنزال العذاب برؤية النّبيّ ﷺ لها، ومشاهدتِه إيّاها؛ لتكون له آيةً بيّنةً على صدق رسالتِه أمامَ إنكار المُنكرين وعناد المُعانِدين؛ فالتّقديمُ هاهنا للعناية برؤية النّبيّ ﷺ، وإلّا فإنّه لا يَشكُّ في نزول العذاب بهم.

معنى حرف الجرّ ودلالتُه في ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ﴾:

تأكيد قدرةِ الله وعُلوِّها على خيال المشركين وأفهامهم

يأتي حرفُ الجرِّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ ليُفيدَ الاستعلاءَ، سواءٌ أكان هذا الاستعلاءُ حقيقيًّا أم مجازيًّا، ولفظُها يدلُّ على ذلك؛ فهي مأخوذة العُلوِّ؛ وهذا هو الأصل في معانيها[1]، وقد دلّ استعمالُ النّظمِ الحكيمِ لحرف الجرّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ الذي يُفيد الاستعلاء في هذا الموضع على طلاقة قدرة الله تعالى على إنزال العذاب بهم في حياة النّبيّ ﷺ، وهو يرى ما ينزل بهم بعينيه، كما أنّ استعمالَه يُشعر بأنّ عناد هؤلاء المُكذّبين قد حال بينهم وبين تصوّر قُدرتِه الباهرة؛ فاستَغْلَت على أفهامهم العليلة، وأبصارِهم الكَليلة.

دلالة التّعبير بالمضارع مسبوقًا بأن المصدريّة:

تَحَقُّقُ رؤيةِ الرّسولِ ﷺ لعذاب الكافرين وتكرُّرُها وتَجَدُّدُها

آثَرَ النّظمُ الحكيم استعمالَ الفعل المضارع ﴿نُّرِيَكَ﴾ مسبوقًا بـ﴿أَن﴾ المصدريّة؛ للدّلالة على تأكيد رؤيتِه ﷺ لعذاب الكافرين المُعاندين، وللدّلالة على أنّها ستكون رؤيةً مُتجدِّدةً مُتكرِّرَة مستمِرّة، كما استعمل النّظمُ البليغُ (أَن) المصدريّة مع الفعل المضارع للدّلالة على التّجدُّد والحدوث، وهي من المعاني الّتي يدلُّ عليها المصدرُ المُؤوّل دونَ المصدرِ الصّريح، الذي لا يدلّ في صيغته مُنفردةً على مُضيٍّ ولا استقبالٍ[2].

نُكْتَةُ التّعبيرِ بفعل الرّؤية مادّةً وصيغةً:

تأكيدُ رؤيةِ الرّسول الكريم ﷺ لعذاب الكافرين في الدّنيا

عبّر النّظمُ الحكيم بالفعل ﴿نُّرِيَكَ﴾؛ والمُراد به هاهنا: الرّؤيةُ

(1) المُراديّ، الجنى الدّاني، ص: 478، والسّامرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 47.
(2) السّهيليّ، نتائج الفكر، ص: 97.

البصريّة، والرّؤية أقوى من النّظر؛ لكون النّظرِ تقليبَ العين نحوَ مكانِ المَرئيّ طلبًا للرّؤية، بخلاف الرّؤية؛ فهي إدراكُ المَرئيّ[1]؛ فالتّعبير بفعل الرّؤيةِ هنا يُشير إلى أنّ الله ﷻ - سيُري رسولَه ﷺ أنواعًا من ذُلّ الكافرين وخِزيهم في الدّنيا رؤيةً عينيَّةً مُتحَقِّقَةً، وسيزيد عليها بعد وفاته، وقد رأى النّبيُّ ﷺ ما حاق بكفّار مكّة وصناديدِهم في بدرٍ وفتحِ مكّة، وغيرِها من الوقائع التي تعرَّضوا فيها للعذاب والذُّلّ.

سِرّ إسنادِ الفعل لضمير الخطاب في ﴿نُرِيَكَ﴾:

عَظَمةُ القُدْرة الإلهيّة محيطةٌ بكلّ الوجود

أسند النّظمُ الحكيم فعلَ الرّؤية في قوله تعالى: ﴿نُرِيَكَ﴾ إلى نون العَظَمة الدّالّة على الله ﷻ، وتُسَمّى نونُ الكبرياء؛ وفي ذلك إشارةٌ إلى طلاقة القُدْرة الإلهيّة وعَظَمتِها وجَبروتِها وعُلوّها، وأنّه لا يَقْدِر أحدٌ على أن يدفع عن نفسه ما قدّره الله تعالى عليه؛ فهو وحْدَه سبحانَه المُتصرّف في هذا الكون؛ فلا مَفرّ لأولئك الكفّار المعاندين من عذاب الله ووعيده إنِ استمرّوا في عنادهم واستكبارهم[2]، وقد عبّر بالمفعول به ضميرَ خطابٍ؛ لبيان مزيد العناية والاهتمام بالمُصطفى ﷺ، وزيادةِ تحذير مَنْ عاداه.

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتُها في ﴿مَا نَعِدُهُمْ﴾:

شِدّةُ العذابِ الذي توعّد اللهُ به المُعاندين المُكذّبين وتنوّعُ صفاتِه وأشكالِه

آثَرَ النَّظمُ الحكيم استعمالَ ﴿مَا﴾ لسعة دلالتِها، ولم يُحدِّد نوعَ العذابِ ولا شكلَه ولا قوَّته، فشمِلَت العذابَ في الدّنيا وفي الآخرة عند بعض المُفسِّرين؛ فهي إمّا اسم موصول؛ والمعنى: إمّا نُرينّي عذابَهم، أو مصدريّةٌ؛ والمعنى: موعودَهم[3]؛ فأفاد التّقديران شمولَ العذاب وعِظَمَه في الدّنيا والآخرة؛ فتساوى هؤلاء القومُ المُكذّبون مع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 118، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 76.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 118.
(3) الخطيب، التّفصيل: 18/ 118.

الأُمَم الَّتي عَجَّلَ الله لَها العَذابَ في الدُّنْيا، وادَّخَرَ لَها عَذابًا آخَرَ في الآخِرَةِ[1].

دلالة التّعبير بالفعلِ المُضارع:

تَجَدُّدُ صورةِ العذاب واستمراريّتُه جزاءُ المُكذّبين المُعاندين

عبّر النّظمُ الحكيم بالفعل المضارع ﴿نَعِدُهُمْ﴾، ولم يَقُلْ: (وإنّا على أن نُرينّك ما وعدناهم)؛ لاستحضار الصّورة، وللإشعار بالتّجدُّد والاستمرار، وليكونَ هؤلاء الكافرون على توقُّعٍ دائمٍ، وتَخوّفٍ مُستمِرٍّ من حلول العذاب بهم.

بلاغة التّعبير بالاستعارة العِناديّة التّهكُّميّة:

جزاءُ المُكذّبين المُعاندين الاستهزاءُ والسّخريةُ والتّهكّم

في قوله تعالى: ﴿نَعِدُهُمْ﴾ استعارةٌ عناديّةٌ تهكّميّةٌ، إذِ استُعيرَ الوعدُ للوعيد، وذلك على سبيل السُّخرية والتّهكّم، واشتق منه (نعد) بمعنى (نوعد) على سبيل الاستعارة التّبعيّة العِناديّة، وفي هذه الصّورة مزيدٌ منَ العذاب لهؤلاء الكافرين؛ عقوبةً لهم على سُخريتِهم من وعيد الله، واستهزائهم بما أُرسلَ به النّبيَّ ﷺ؛ فهم لم يكتفوا بالكُفْر والإشراك؛ بل أضافوا إلى ذلك السّخريةَ والاستهزاء؛ فجاء نَظمُ الآية مُشيرًا إلى السُّخرية منهم والاستهزاء بهم "لِإنْكارِهِمُ المَوْعودَ، واسْتِعْجالِهِم لَهُ اسْتِهْزاءً به، وقيلَ: قَدْ أراهُ، وهو قَتْلُ بَدْرٍ أوْ فتْحُ مَكَّةَ"[2].

دلالةُ التّعبير بخبر ﴿وَإِنَّا﴾ اسمَ فاعلٍ جمعًا:

إضافةُ مزيدِ تأكيدٍ لتستيقنَ القلوبُ والعقولُ من عَظَمتِه وقُدْرتِه ﷻ

لمّا صُدِّرت الآيةُ الكريمةُ بضمير العَظَمة ونونِ الكبرياء ﴿وَإِنَّا﴾؛ كان من المناسب غاية المناسبة أن تُخْتَم الآيةُ بصيغة الجمع ﴿لَقَدِرُونَ﴾؛ وذلك إشارةً إلى عَظَمة القُدرةِ الإلَهيّة وقُدرتِها وكبريائها، وقد آثَرَ النَّظم الكريم اسمَ الفاعل على الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿لَقَدِرُونَ﴾؛ لبيان طلاقة القُدْرة الإلهيّة وثباتِها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 118.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 94.

منذ الأزل على ما كانت عليه، فهو جمع بين إشارة الاسميَّة ودلالة الفعليَّة في اسم الفاعل؛ فهو سبحانَه قادرٌ في كلّ وقت وحين، وجاء الجمعُ بنون العَظَمة ليُضيفَ مزيدًا من التّأكيد؛ لتستيقنَ القلوبُ والعقولُ مدى عَظَمتِه وقُدْرتِه سبحانَه جلّ في علاه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّظر والرّؤية:

النّظر تقليبُ العين حيالَ مَكانِ المَرئيّ طلبًا لرُؤْيَته، والرُّؤية إدْراكُ المَرئيّ

النّظر طلب الهُدى؛ والشَّاهِد قَوْلهم: نظرتُ فلم أرَ شَيْئًا، والنّظر طلبُ ظُهور الشَّيْء، والنّاظرُ: الطَّالِبُ لظُهور الشَّيْء، واللّه ناظرٌ لِعِبادِهِ بِظُهور رَحمتِه إيَّاهُم، ويكون النَّاظِرُ الطَّالِبُ لظُهور الشَّيْء بإدراكه من جِهَة حاسّةِ بصرِه أو غَيرِها من حواسه، والنَّظَر بالقَلْب ومن جِهَة التّفكّر، والانتظار: التَّوَقُّف لطلب وقت الشَّيْء الَّذي يصلُح فيه، والنَّظَر أَيْضًا هوَ الفِكْرُ والتّأمُّلُ لأحوال الأَشْياء؛ فالنّظرُ: تقليبُ العين حيالَ مَكانِ المَرئيّ طلبًا لرُؤْيَته، والرّؤية: إدْراك المَرئيّ، ولمّا كانَ اللّهُ تعالى يرى الأَشْياء من حَيْثُ لا يَطْلُب رؤيتَها؛ صَحَّ أَنّه لا يوصَف بِالنّظرِ[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 76.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»